

مفاهيم أخلاقية أم آداب مسلكية ، أو ثقافة نوعية أو فلسفة حياتية ؟ هل هي نظرة للحرب والسلام أم هي موقف من العلاقات الانتاجية بين المشتغلين والمشتغلين ؟ هل تكون باستبدال شعب بآخر وطرده من أرضه وتكرهه لحق تقرير مصيره في وطنه — أم قائمة بتسليط الاحتكارات على انتاجه ، وسلبه من أرضه ، وفرض الاحكام العسكرية عليه ؟ أم هل تكون مجسدة بشن « حروب وقائية » تشرد بنايا شعب من بقايا أرضه ، ثم تتذرع بالحدود الامنة حجة كي لا تعيد الى هذا الشعب ما اغتصب من أرضه ؟ وهل تكون قائمة في التمييز بين البشر على اساس الدين واللون والعنصر ، وباعتناق نظرية « الدم الازرق » و« الشعب المختار » أم تكون بنظرة المساواة بين جميع البشر بقطع النظر عن هويتهم القومية ؟ هل تكون بارتداء غنيمات الريف العربيات « للشورت » تقليدا لفتيات الكيبوتس ، أم بخلع الكوفية والعقال والتبرنط وارتداء الزي الاوروبي ؟ أم تكون بعقد حلقات رقصات « الهورا » و« بنات عبي ناداب » في الساحات العامة ، والخروج الى السينات والملاهي بدون استئذان الوالدين و« بالتواصل الجنسي المبكر » ؟ ان هذه التساؤلات بحاجة الى تحديدات مدققة حتى تتمكن من نفي صفة الاملاق على « التقدم » و« التخلف » . ان شعوبا كثيرة لم تمنع ثقافتها العالية وتقدمها التكنولوجي المتفوق زعماءها من شن حروب مدمرة على شعوب اخرى واستعبادها عشرات السنين ، ومن ثم رفع شعار « عبء الرجل الابيض » ، من اجل تمييزها وتطويرها . وان شعوبا كثيرة غيرت زيبها الوطني وتشكرت لتقليدها ولكنها لا تزال في عداد الامم المتأخرة .

اذا كان الباحثان يعنيان « بالتقدم » هو ادخال انجازات العلم الحديث ، كالكهرباء والماء والالات الزراعية وغيرها ، الى القرية العربية فانني لا اظن عربيا واحدا سواء كان من الجيل القديم او من جيل الشباب يمانع في ذلك . واذا كانا يعنيان به الاقبال على فتح المدارس والتزود من العلم والاستنارة فان الجماهير العربية في اسرائيل قد اقامت الدنيا واتعدتها من اجل تحسين مدارسها وتأهيل شبابها للدخول الى الجامعات بينما السلطات المسؤولة كانت تضع جميع العراقيل كي تبقي الجهل صفة ملازمة للمجتمع العربي . واذا كانا يعنيان بالتقدم اقامة مجالس محلية وفتح النوادي الثقافية وتشجيع المسارح والفن ، فان المجتمع العربي

نتائج الاجابات تفسيرات خاطئة يفهم منها: (1) اتهام المجتمع العربي بالتخلف في مفاهيمه الاجتماعية والنفسية والفكرية ، وهذا التخلف — حسب رأي الباحثين — ناشى اصلا عن تخلف في ثقافته . (2) اظهار غيرة وحسد الانسان العربي « للتقدم » الذي يرتع به زميله اليهودي ، النموذج الرائع للانسان الاوروبي . (3) اظهار مقت العربي للسلطات الاسرائيلية وكأنه نتيجة للصراع الداخلي بين جيلين عربيين مختلفين ، احدهما يدعو « للتقدم » اليهودي والاخر يدعو للتمسك « بالتخلف » العربي . (4) ابراز تنكر بعض قطاعات من المجتمع العربي في اسرائيل الى مسيرة التطور واعتبار مظاهر هذا التطور اباحية ممقوتة . (5) اظهار حرج الحكومة الاسرائيلية وهي يتجادبها اطراف الصراع — وابرار حيرتها ، التي تستدر العطف ، وهي تتلمس مواطنيها من هذا النزاع على « التقدم » بحيث اذا وفنت الى جانب الكهول « الرجعيين » غضب الشباب « التقدميون » وبالعكس ومن هنا يعطي الباحثان السلطات الاسرائيلية عذرا للتصل من مسؤولياتها عن تأخر القرية العربية .

نحن نعرف ان الشباب في كثير من الدول النامية قد فتحو عيونهم على أنماط براقية من الحياة الغربية، وان كثيرا منهم قد انجر وراء السراب الخادع ، نتيجة لعدم سيطرته على التوازن النفسي والفكري امام تدفق بهرجات « الحضارة » الجديدة ، وعن عجزه عن اكتشاف احتياجاته الحقيقية مما يعرض امامه وما يجب ان يؤخذ على اساس صموده على محك الواقع المتميز لكل بلد والنابع من تراث حضاري معين . وهكذا فقد ضاع هذا الشباب بين العرض والطلب . ولقد كانت المحنة التي تعرض لها الانسان العربي في اسرائيل اشد واقسى مما تعرض له زميله في الدول النامية وهو يعايش هذه النماذج على ارض الواقع ، متداخلة في ادق تفاصيل حياته اليومية . « فالتقدم » الاسرائيلي يقدم له نفسه بديلا لكل قيمه الحياتية مصحوبا باغراء مادي ومعنوي ، يشككه بكل ما في مجتمعه من عادات وتقاليد ، حتى يتمكن من احتوائه في نمط من حياة معينة ، في اطار سياسة مرسومة لذلك سلفا ، تتحدد فيها معاني التقدم والتخلف كما يحلو للسلطات وكما تصبو ان تجعل الانسان العربي يراها من خلال هذا التحديد .

اننا نسال الباحثين الاجتماعيين : ما هي مقاييس التقدم والتخلف الاجتماعى في رأيهمسا ؟ هل هي